

# المعنا

السنة الخامسة

الجزء الثالث

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

١١ جمادى الثاني سنة ١٣٣٤

نيويورك - اول آب (اغسطس) سنة ١٩٠٦

## التفاضل والمساواة بين الناس

الحق والبطل فيهما

في الاجتماع . والشريعة . والدستور . والاقتصاد

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

✽ حاشية من المجلة ✽ يعرف قراء اللغة العربية حضرة مؤلف هذه الرسالة من عدة كتب وروايات نشرها في السنوات الاخيرة . وهو احد كتاب معدودين في مصر والشام وقد نال جائزة كبرى في هذا العام في موضوع من اهم المواضيع تقدم للكتابة فيه اكثر من عشرين كاتباً مجيداً من كتاب مصر والشام . وقد كتب الموضوع المفيد التالي لقراء الجامعة واثبت فيه جميع الادلة على وجهيه

السلبى والايجابى ولم يرجح وجهاً على وجه لان هذا الموضوع ما زال من مشكلات العلم والفلسفة في العالم . والمواضيع التي ذكر فيها ارجحية وجه على وجه ذيلناها بشروح وجيزة من المجلة اتم الفائدة بها ويقف القارىء على حقيقة هذا الموضوع الجليل

تساوي الافراد في الحقوق والواجبات مسألة يعباؤها الناس كما ترقت عقولهم واتسعت معارفهم اذ ينتبهون الى التفاوت البين بين الاشخاص في الجاه والسلطة والثروة ويتساءلون ما سببه وهل هو عدل وحق؟ فالاقوياء الممتازون يزعمون انه حق بحجة ان التفاوت الذي بين الافراد والامم في تلك الامور مناسب لتفاوتهم في القوى العقلية والجسدية والادبية . والضعفاء المحرومون امتيازات اولئك يزعمون انه استبداد وظلم وغبن لان الناس مشتركون في الحقوق والواجبات ومتساوون بها اشتراكهم واستواءهم في الانسانية وانه لا ميزة لانسان على انسان وانما يمتاز الانسان عن الحيوان لان بينهما فرقاً جلياً

في كل فصل من فصول التاريخ شواهد على التناقش والتخاصم والتقاتل لاجل المساواة . الاقوياء المميزون ينكرونها ويجاهدون في القضاء عليها والضعفاء يؤيدونها ويقاتلون في سبيل تميمها . وما تغلب فريق الا تطرف وغالى في تقويم جانبه لان مبدأ التنازع يقضي بتبليغ نتيجة الارجحية كما لو كان فريقان يتجاذبان طرفي جبل فاذا رجع احد الجانبين قليلاً جذب الجانب الاخر كله اليه . او كما لو علقت ثقلين في طرفي جبل ملتف على بكرة فاذا رجع احدهما على الاخر ولودرها هبط الراجح الى اسفل وارتفع المرجوح الى البكرة مع ان الفرق بينهما زهيد جداً لا يعادل هذه النتيجة للارجحية

فتساوي الناس المطلق غير ممكن وغير عادل (١) اما انه غير ممكن فلانه مخالف للطبيعة التي لا استواء بين اجزائها في كل امر منها يوجد الراجح والمرجوح والافضل والاردا . واما انه غير عادل فلان الاشخاص يتفاوتون تفاوتاً بيناً في عقولهم وهممهم واخلاقهم وآدابهم وسائر قواهم ومزايابهم وان كانوا متساوين في الانسانية ومتشابهين في الهيئة والتركيب

(١) هذا في الاقتصاد والمواهب العقلية ولكن مبدأ الديمقراطية يقضي بالمساواة في

الاجتماع والشريعة والدستور

العضوي . فلا بد اذاً من التساوي في امور والتمايز في امور على شرط ان تعتدل النسبة بين مزايا الناس واهليتهم

على انه ليس من السهل وزن هذه النسبة او مقايستها بحيث تكون عادلة لانه قد يتراءى لنا ان تمايز النبلاء على العامة في بلاد الانكايث مثلاً غبن اذ لا افضلية حقيقية للنبيل على العامي مخولة ذلك الامتياز عليه . ولكن اذا انعمنا النظر في سبب هذا الامتياز من جهة وفي نتيجته من جهة اخرى وجدنا ان احقيقته ليست في تكافؤ النبيل والعامي في الاهلية والاستحقاق فقط بل في الفائدة التي ننجم عنه وهي حفظ مجد المملكة وحياتها (١) كما سيأتي بيانه في محله من هذه المقالة

وكذلك اذا دققنا في تعليل الامتيازات التي للانكليزي على المصري او للابيض على الاسود في اميركا او للبويري (لعهد الجمهورية البويرية) على الوطني في جنوب افريقيا وجدنا انها غير مسببة عن التفاوت في عقول تلك الامم وقواها فقط بل عن الاضرار الى صيانة الامة الواحدة من عدوان الاخرى بتأييد تلك الامتيازات كما سيتضح في ما يلي

## ١ التفاضل الاجتماعي

بستفاد مما سبق ان الناس يجب ان يتفاضلوا في كثير من الامور ولا سيما الامور الاجتماعية والاقتصادية بقدر تفاضلهم في مزاياهم الشخصية . وطبيعة الحال نقضي على الافراد ان يسلموا بهذا التفاضل لان لذي المواهب والمزايا الكثيرة قوة يسود بها على من كان قليلها وهذا من نفسه يخضع لذلك تارة حاجته واخرى لخوفه من سطوته

فالفقير يجلس على قدر الغني ويعظمه لكي يشفقه عليه ويستجديه ويجانب اذاه . وهذا يتفطرس عليه لانه في غنى عنه ولشعوره انه يقدر على التحكم فيه . والجاهل يجلس على العالم لانه يحتاج الى رأيه وهذا يتعالى عليه . والصعلوك يتقرب من النسيب عريض الجاه ويجتهد ان ينتهي اليه لكي يستقوي به . وهكذا كل ضعيف يتزلف الى قوي لكي يستنصره ويستأمنه على نفسه والقوي يشخ ويعتز . وعلى هذا النحو يستقوي الغني والنسيب والحكيم ويتسع

(١) الا اذا ألف النبلاء في وسط المملكة طبقة ممتازة بصرفون امتيازهم فيها الى نفع انفسهم واستخدام شرائع البلاد آلة لاغراضهم ومنع سن الشرائع التي تفيد الشعب وتنهض به كما هي الحال اليوم في روسيا مثلاً في منتهى شدته

نفوذه ويعرض جاهه بالدين يتقربون اليه ويجاونه ويعظمونه لدفع مغرم او لجر مغنم . وعلى هذا الاسلوب ينشأ التفاضل بين الافراد والامم وتتفي المساواة المطلقة ويظهر الناس رتباً ودرجات ويضطرون ان يسلموا لكل منهم بالدرجة التي وضع نفسه فيها وقدر ان يبرهن على استحقاقه لها . وذلك هو منشأ الرتب والالقب والاونمة ونحوها مما جعل للدلالة على مكانة صاحبه في الهيئة الاجتماعية

وهب ان السواد الاعظم من الشعب قام يطلب المساواة ويقاثل مبدأ التفاضل ونجح في جعل الافراد كلهم في درجة واحدة في القيمة والجاه والنفوذ فلا ينقضي رده من الزمان حتى يعود ذلك التفاضل لان الاقدر يجذب اليه جانباً من الضعفاء الذين يستنصرون بقدرته وهم يرفعون مقامه ويردونه الى المرتبة التي أنزل عنها . وهب ان امرأ من الامور نقض حال الناس الحاضر وجعلهم في حال جديد متساوين لا كبير فيهم ولا صغير ولا وضيع فلا يلبثون ان يتغربلوا ويتفرقوا ويتجمع افراد كل رتبة في رتبهم

تفرّد الاميركان في العصر الاخير بتأيد مبدأ المساواة في معظم احوال الهيئة الاجتماعية فنبذوا الالقب والرتب والنشانات والملابس الرسمية ونحو ذلك مما يدل على التمايز والتفاضل وحظروا على كل فرد منهم ان يقبل رتبة او نشاناً من حاكم اجنبي ولكنهم ما لبثوا بعد حين ان شد كثير من منهم عن هذه القاعدة فجعلوا يتطاولون الى الرتب والالقب ولو خسروا جنسيتهم . فالفتاة الغنية تبذل مالها لكي تزوج من نبيل اوروبي لورد او بارون او نحوها لكي تلتقب بلقبه . وبعض الشبان المثرين يفعلون كذلك لكي يزوجوا انفسهم بين الاسرات النبيلة وبعضهم يبتاعون الالقب بالدنانير ابتياعاً . ومع ان قانون الجنسية الاميركية ينكر القاب الشرف فلا يسهه ان ينكر الالقب العلمية مثل دكتور فلسفة وغيره كأنه من لزوميات الاجتماع البشري ان تقوم الدلائل الحسية على تمايز الناس في مواهبهم وقوام

تري ان الاكابر يقيمون لانفسهم اندية خصوصية لا يؤذنون لغيرهم من الوضعاء ان يدخلها . لماذا ؟ يظهر لاول وهلة ان الغرض من ذلك الا يخلطوا بفئة الاسافل او الهمج ولكن تراهم لا يستنون وضيعاً من هذا البند ولو كان مثال الادب والذكاء والذوق ولا يرفضون الرفيع ولو كان فارورة سفه وبذاء فالحقيقة اذاً ان المراد من هذا الاختصاص انما هو التمايز العنفي والمباهاة بالجاه والغنى والنفوذ . وعلى هذا النحو ومثل هذا الغرض تقام مدارس خاصة بانباء الاعيان . ومن ذلك ان شركات السكك الحديدية المتسابقة في جهة واحدة في

اوروبا تتنافس في ارضاء الركاب بمثل هذا التخصيص كأن تمنع الطبقة السفلى من الركوب في الدرجة الاولى ولودفع الراكب ضعفي الاجرة (١)

وليس المبالاة بالجاء او حب التمايز امراً قليل الاهمية في الهيئة الاجتماعية بل ان كل فرد فيها يبذل العالي فضلاً عن الرخيص لمطاوله من هم اعلى منه . الا تراهم يشترون الرتب والالقب والشانان المدنية شراءً . لا يفعلون ذلك في مصر فقط بل في اكثر ممالك اوروبا ومن ذلك اننا نرى الناس يتنافسون في مظاهرهم حتى انهم يكلفون انفسهم اكثر من طاقتها في اللبس والفرش ونحو ذلك

بقي ان ننظر في عدالة هذا التفاضل وفي فائدته . اما من حيث عدالته فلا ريب انه عدل اذا كان جارياً على قاعدة قومية طاهرة من المحاباة والرياء والشذوذ . فان لذي المزية حقاً بان يتميز على سواه لانه يبذل في الاجتماع البشري قوة اكثر من سواه فيجب ان يكافأ على هذه القوة بقدرها . واذا تساوى الناس في القيمة مع تفاوتهم في القوى او المزايا فقدوا مزاياهم حالاً لانها عديمة الجدوى لهم

على ان التفاضل غير جار على قاعدة قومية في كل بلاد واكثر قواعده اختلافاً ما كانت في الشرق فانه محصور فيها بذوي القوة المالية وبالنسب ومنتهى من اهل الذكاء والمعرفة والآداب فقد ترى العالم الفاضل المستقيم غفلاً من اعتبار الناس وكرامهم . والمثري الشرير مكرماً . وما هي الحال كذلك في البلاد الغربية الراقية . ففي انكترا اكرم سبنسر اكرام الامراء وفي فرنسا اكرم هيجو كذلك واما في مصر فعما قليل ينسى اسم الشيخ محمد عبده وفي سوريا تنوسي اسم البستاني واليازجي

وفي انكترا اتخر الكولونل مكدونلد (اتخر في باريس) منذ ٣ سنين لانه اسقط من مقامه في الهيئة الاجتماعية بسبب تهمة دنيئة وفي مصر ترى الباشا فلان وهو يتاطخ بلطخ الدنس لا يزال الناس بكرمونه وبطأ طئون امامه . والمثري فلان وهو ينهب الفقراء ويسلب الارامل واليتامى يتسابق الناس بالثناء عليه وبعلان فضله . والنسيب الحسيب فلان وهو اجهل من هبنقه يتبرك الناس به ويقبلون الارض بين يديه . وسبب هذا الخلل اي المرأة من جهة والغبن من جهة اخرى انما هو الضعف والجهل العامان في البلاد

(١) ظاهر من سياق الكلام ان الكاتب لا يقرر هذه المبادئ ولا يدعو اليها ولكنه يذكرها كما يراها في العالم . فهو ينشرها ما كان لا ما يجب ان يكون

اما من حيث فائدة التفاضل فلا يخفى ان اعلان مزايا التمايزين والاقرار بها او وضعهم في مكانتهم بثير روح التنافس في الناس . وعلى التنافس يقوم عمران البلاد . ثم ان التمايز بقي الكرماء من شرور اللوماء والمتمدنين من غلاظة الهمعج الى غير ذلك مما يستقر به اللبيب بنفسه

ثم ان الفائدة الجلى من هذا التمايز غريلة الناس وتصفيتهم بحيث تثنقى طبقة الاشراف من الوجود وفتة الكرماء من اللوماء واهل العلم من الجهلة ولا تسهل خديعة الافراد بعضهم لبعض

وفي هذه الحالة يضطر كل فرد ان يرقى عقله ونفسه وآدابه ويهتم بانماء ثروته وتعرض جاهه لكي يجرز الاهلية للمكانة التي يطمح اليها وبتبوءاً لها باستحقاق ولا يتمتع بشرف او مجد او رفعة من غير ان يبذل في العمران القوة التي بذلها سواه ممن احرزوا مقاماتهم التي يحسدون عليها ويطاولم فيها

## رسالة السيدات من الاسكندرية

بقلم المدموازيل (روزا انطون) صاحبة مجلة السيدات

حاشية - كما ان صاحب الجامعة قد وعد قبل سفره من مصر مجلة السيدات ان تبث اليها برسائل مفيدة في المدينة الاميركية واحوال سيدات نيويورك والولايات المتحدة السوريات كذلك وعدت شقيقته صاحبة (مجلة السيدات) بالاسكندرية ان تبث الى الجامعة برسائل لطيفة في اجتماعات السيدات الاسكندرريات واخبارهن الاجتماعية اللذيذة وهذه اولى تلك الرسائل

حدثني احدي الصديقات الحديث التالي وقد التقطته من مجلس خصوصي ضم بعض السيدات قالت :

زرت امس صديقة في الاسكندرية فوجدت جمعيتنا ناقصة بسبب سفر كثيرات الى مصايفهن فقلت لم يبقَ غيرنا من جمعيتنا يحتمل حرّ هذا الصيف .